الاسطورة في التعبير الفني وثقافة الشعوب

ترجمة/ عادل العامل

ليس هناك من تعريف مُرضٍ واحد للأسطورة، نظراً لكون الأساطير تخدم أغراضاً مختلفة كثيرة. وكان الغرض الأول تفسير ما هو غير قابل للتفسير. فمنذ بداية وجود الجنس البشري، عملت الأساطير كتبريرات لغوامض الحياة الأساسية، أسئلة من قبيل: من صنع العالم؟ كيف سينتهي؟ من أين جئنا؟ مَن كان أول إنسان؟ ما الذي يحدث حين نموت؟ لماذا تنتقل الشمس عبر السماء كل يوم؟ لماذا يكبر القمر و يتضاءل؟ لماذا لدينا دورات زراعية سنوية وتغيرات موسمية؟ مَن يتحكم بعالمنا، وكيف نستطيع التأثير في تلك الكائنات بحيث تكون حيواتنا أسهل؟

في غياب المعلومات العلمية من أي نوع، ابتكرت مجتمعات الزمن الغابر في جميع أنحاء العالم أساطير الخلق، وأساطير الانبعاث، والأنظمة المعقدة لكائنات فوق طبيعية، لكل منها قوى معينة، وقصص حول أفعالها. وبما أن الناس كانوا في الغالب معزولين بعضهم عن بعض، فإن معظم الأساطير نشأت على نحو مستقل، غير إن الأساطير المتنوعة متماثلة بصورة مدهشة، خاصة أساطير الخلق.

وهكذا فإن الحاجة إلى الأسطورة حاجة عالمية أو شاملة. وبمرور الزمن، ستصبح رواية واحدة لأسطورة من الأساطير المعيار المقبول الذي انحدر إلى أجيال لاحقة، أولاً من خلال القص – story telling، ومن ثم، فيما بعد كثيراً، وضع ذلك في شكل مكتوب. وكان من المحتم أن تصبح الأساطير جزءاً من أنظمة الدين، ودُمجت بالشعائر والاحتفالات الدينية، التي كانت تتضمن الموسيقى، والرقص، والسحر.

والوظيفة الثانية للأسطورة هي تبرير نظام اجتماعي قائم وتفسير طقوسه وتقاليده. وإحدى القواعد الثابتة للميثولوجيا، أو علم الأساطير، إن كل ما يحدث بين الآلهة يعكس الأحداث على الأرض. وبهذه الطريقة، فإن أحداثاً مثل الغزوات والتغيرات الاجتماعية الأساسية أصبحت مدمجةً في الأساطير. كما إن بعض الأساطير، خاصةً تلك التي من الأغريق. الرومان وفترات القرون الوسطى، تقوم بدور إيضاح المبادئ الأخلاقية بالأمثلة، وبشكل متكرر من خلال الأعمال البطولية التي يقوم بها البشر الفانون mortals.

غير إن ما يهمنا أكثر هنا التفسيرات البصرية للأساطير التي قدمها لنا الفنانون عبر الزمن.

والكثير من الأساطير قصص مُلزمة تحول إليها الفنانون مرةً بعد أخرى، معيدين تفسيرها من موقع الأفضلية في تجربتهم وتصورهم هم. وتمثيل representationالفنان يوفر صورةً ذهنية ملموسة للأسطورة أو الشخصية الأسطورية، كما في صورة رسام الـ Antimenesلأثينا (١) وهي تقابل هيراكليس (٢) مع مركبتها. وفي بعض الأمثلة، كما هي الحال مع الناب التذكاري من بينين (٣)، فإن عملاً فنياً باستطاعته أن يجر إلى قصة. وفي الوقت الذي نجد فيه بعض التمثيلات أو التصويرات، كتمثال ذوذ (4) Thoth المصري، يمليها التقليد المتوارث إلى درجة كبيرة، فإن هناك تمثيلات أخر، مثل لوحة موريس دينيس لأورفيوس (٥)إيوريديس (٦)، أكثر شخصية. وبصرف النظر عن لماذا وكيف أُبدعت، فإن كل صورة تساهم وتضيف بعداً لفهمنا أو تفسيرنا لتلك الأسطورة.

والكثير من الصور في هذه المجموعة يمثل أساطير تشرح ممارسةً، اعتقاداً، عُرفاً، أو ظاهرةً طبيعية. وتشير أشياء مثل تاج ملك اليوروبا (٧)، وزخرفة الأثاث الروماني، والتصاميم المجردة على رداء لاكوتا، إلى قصص من قصص الخلق. فغطاء رأس الظبي الباماني يرمز إلى شي وارا Chi Wara، الذي علّم شعب بامانا كيف يزرعون، والخنزير المنقوش على عمود يستحضر قصةً عن المجتمع الميلانيسي في نيو إيرلاند (إيرلندا الجديدة).

إن أساطير الأبطال، وحكايات المغامرة المليئة بالمخلوقات الخيالية والأعمال البطولية فوق البشرية، ممثلة أيضاً في هذه المجموعة. والقصص المروية من خلال صور إيزيس (٨)، ذيسيس (٩)، وسانت كاثرين الاسكندرية، مثلاً، تقدم صفاً عريضاً من الأعمال البطولية المنجزة من خلال السحر الذكي، والقوة البدنية، والإيمان المتسم بالورع.

وهناك القليل من الصور التي تمثل أحداثاً وأشخاصاً حقيقيين. وتدعى هذه على نحو أكثر ملاءمةً بالخرافات legends، تمييزاً لها عن الأساطير myths، التي هي خيالية. فعلى سبيل المثال، تستند قصة نبوخذنصر إلى حياة حاكم للإمبراطورية البابلية القديمة، وتقوم القصة المعاد سردها على الناب المنقوش من بينين بصورة كلية على أحداث وشخصيات حقيقية.

ولكن في كل حالة، فإن حيوات الشخصيات الرئيسة مزينة بإضافات خيالية fictional أو مفترضة. ولم يكن هدف الخرافة توفير تسجيل دقيق لحياة الفرد، ولكن لتصويرها كمثال على السلوك الفاضل أو الشرير - بعواقب مناسبة - لمضاهاتها أو تحاشيها. وفي الخرافات المتعلقة بالقديسين المسيحيين، كانت الحقائق التاريخية تُعدَّل حسب الحاجة، ويجري التأكيد على الحوادث الإعجازية أو الاستثنائية. والخرافة المتعلقة بهيربرت هُوفر(١٠) حالة خاصة، لأنه كان لا يزال حياً عندما ابتُدعت له عن وعي لتعزيز وضعه الجديد كرئيس.

وكما يشير إليه غنى الأساطير الممثلة هنا، فإن الأسطورة والبهتان ليسا مترادفين. فما هوحقيقة بالنسبة لواحد خيال بالنسبة لآخر؛ وعلى كل حال، لا يعود لأيٍ منا أن يقرر أن ميثيولوجيا مجموعة من البشر أكثر أو أقل سرياناً وفاعليةً من غيرها. فالأسطورة قوة إيجابية توحد ثقافات كثيرة أكثر من أن تفرقها. وعلى امتداد العالم تزود الأساطير الناس بشروح، وتواريخ، ونماذج أدوار، وتسلية، وأمور أُخر كثيرة تمكنهم من توجيه أفعالهم وفهم المحيط الذي يعيشون فيه.

عن موقع / World Myth & Legnds in Art

الإشارات:

(١) أثينا: إلاهة الحكمة والفنون والصنائع النسوية عن الأغريق.

(٢) هيركليز: بطل جبار من أبطال الميثولوجيا الأغريقية.

(٣) بينين: دولة أفريقية تقع في غرب أفريقيا، وكانت تدعى داهومي.

(٤) ذوذ، أو توت: إله الحكمة والسحر في الميثولوجيا المصرية.

(٥) أورفيوس: بطل وموسيقي ذراسي في الميثولوجيا الأغريقية كان قادراً، كما يقال، على سحر الأشجار والوحوش بألحان قيثارته.

(٦) إيوريديس: زوجته.

(٧) يوروبا: قبيلة كانت لها مملكة تسيطر على غرب أفريقيا في القرن الثامن عشر.

(٨) إيزيس: إلاهة الأمومة والخصب لدى المصريين القدماء.

(٩) ذيسيس: بطل الأثينيين وملكهم.

(١٠) (هوفر) هو الرئيس الحادي والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية في الفترة ١٩٢٩ - ١٩٣٣.

من المحرر

عيديات

باسم عبد الحميد حمودي

انتهت ايام عيد الفطر المبارك واحتفى بها سائر الناس وخصوصاً الرمضانيون الذين اتموا الشهر الكريم بروح من التبتل والايمان والسعي الى رضا الباري عز وجل.

ولا نريد هنا ان نتحدث عن اعياد الماضي وتقاليدها الجميلة اجتماعياً والفة الناس فيها وانتهاء خصام وتعزيز محبة وسلام الصغير على الكبير وزيارة رب العائلة من قبل اولاده وبناته وفرح الصغار بملابسهم الجديدة.

نريد ان نتحدث عن عيديات تمنيناها لهذا البلد الذي نرجو ان يكون اميناً باهله وان تكون شوارع المدن قد ازدهرت بالطمأنينة وان تكون البسمة على الشفاه قد عادت وان يأمن المواطن على بيته وماله واهله.

نريد ان نتحدث عن استحقاق ضروري لامل العراقي في عراقه، تحقيق الامن لكل مواطن بدلاً من رصاصات تنطلق في الهواء او في الصدور دون سبب، وتحقيق العمل لكل مواطن قادر على العمل وما زال جالساً قرب باب داره ينتظر الفرج وتحقيق البسمة لاطفال العراق الذين لم يعتادوا منذ سنوات على صوت الموسيقى بل اصوات التفجيرات.

> قد تبدو هذه العيديات المتمناة طبيعية في أي بلد متحققة بدلاً من ان تكون تمنيات ولكننا ندعو ونسعى الى ان يكون العيد السعيد قد حقق نوعاً من مصالحة الاخ لاخيه وان تنتهي مظاهر سيادة المليشيات لتكون سيادة المجتمع

قد تبدو هذه العيديات المتمناة طبيعية في أي بلد متحققة بدلاً من ان تكون تمنيات ولكننا ندعو ونسعى الى ان يكون العيد السعيد قد حقق نوعاً من مصالحة الاخ لاخيه وان تنتهي مظاهر سيادة المليشيات لتكون سيادة المجتمع وان تختفي المظاهر المسلحة بما فيها البلاك ووتر سيئة الصيت وان تكون عيديات العيد برداً وسلاماً وامناً واملا بالحياة باذن الله، وكل عيد وانتم بخير.

أسماء شوارع بغداد قبل ٧٥ سنة

رفعت مرهون الصفار

تجري الايام جريان السيول، فتمحو اشياء وتغيب اشياء وتتبدل اشياء وتهلك ملوكاً وتستخلف آخرين وهذه سنة الحياة وديدنها والاسماء مما تتعرض للتطور والتغير والتبدل والمحو والتغيب، خصوصاً اسماء المدن واسماء شوارعها، ولما كانت هناك فكرة لتغيير واضافة اسماء جديدة الى شوارع بغداد وقد تؤلف لجنة لذلك لذا أحببت ان اذكر ما تبدل من اسماء وشوارع بغداد وما بقي منها خلال الـ ٧٥ سنة الماضية، فقد سمت امانة بغداد (امانة العاصمة) سابقاً شوارع بغداد في عام ١٩٣٢ كما يلي:

شوارع بغداد الغربية (الكرخ)

١- الشارع الممتد بين رأس الجسر الجديد في جانب الكرخ نحو الصالحية ومحطة السكة الحديدية (يسمى شارع الملك فيصل).

٢- الشارع الممتد بين شارع الملك فيصل وكرادة مريم يسمى (شارع المنصور).

٣- الشارع الممتد بين رأس الجسر القديم نحو علاوى الحلة المنتهي بشارع الملك فيصل يسمى (شارع الحسيني).

٤- الشارع الممتد بين شارع الحسيني وتمثال مود الى شارع الملك فيصل نسبة الى صلاح الدين الايوبي يسمى (شارع صلاح الدين).

٥- الشارع الممتد بين رأس الجسر القديم بجانب الكرخ ومحطة (الترامواي) الى منتهى الجعيفر يسمى (شارع موسى الكاظم).

شوارع بغداد الشرقية (الرصافة)

١- الشارع الممتد بين الباب الشرقي وباب المعظم نسبة الى الخليفة هارون الرشيد يسمى (شارع الرشيد).

٢- الشارع العرضاني الممتد من جامع مرجان الى نهر دجلة كانت اللجنة اقترحت تسميته شارع الصيارفة، فالمجلس لم ير هذه التسمية تتفق والنهضة ولاجله قرر تسميته (شارع السموأل)

٣-الشارع الممتد بين رأس الجسر الجديد ومحل اورزدي باك المنتهي بشارع السموأل نسبة الى الخليفة المنتصر بالله يسمى (شارع المستنصر).

٤- الشارع الممتد بين رأس الجسر القديم بجانب الرصافة وشارع الرشيد نسبة الى الخليفة المأمون يسمى (شارع المأمون)

٥- الشارع الممتد بين شارع الرشيد والعبخانة يسمى (شارع مدحت باشا).

٦- الشارع الممتد بين شارع الرشيد امام السيد سلطان علي نحو العوينة نسبة الى النعمان بن المنذر يسمى (شارع النعمان).

٧- الشارع الممتد بين الباب الشرقي على ساحل النهر الى كرد الباشا يسمى (شارع أبي نواس).

٨- الشارع الممتد بين شارع الرشيد والحضرة الكيلانية الى خارج البلد يسمى (شارع الكيلاني).

٩-الشارع الممتد بين الباب الشرقي على السدة نحو بعقوبة الى نقطة الشركة الاخيرة نسبة الى سعد بن ابي وقاص يسمى (شارع سعد).

١٠- الشارع الممتد من المنطقة الاخيرة لشارع سعد نحو العلوية الى نقطة اتصال الشوارع جنوب العلوية يسمى (شارع الامير غازي)

١١- الشارع الممتد بين ملتقى سعد وشارع عبد المحسن السعدون المار من امام مخفر السنك المنتهي في شارع الكيلاني يسمى (شارع الغزالي).

١٢- الشارع الممتد من شارع الرشيد مارا امام دائرة البريد وامام امانة العاصمة الى سوق السراي يسمى (شارع حسن باشا).

١٣- الشارع الممتد بين شارع حسن باشا الذي يبدأ من الفسحة الواقعة امام الشرطة الى شارع الرشيد يسمى (شارع خالد بن الوليد).

١٤- الشارع الممتد بين منتهى شارع حسن باشا الى شارع الرشيد يسمى (شارع المتنبئ).

١٥- الشارع الممتد بين باب المعظم والاعظمية يسمى (شارع الامام الاعظم).

١٦- الشارع الممتد بين شارع الرشيد وجامع الفضل يسمى (شارع الفضل).

١٧- الشارع الذي يبتدئ من باب المعظم من دار نوري باشا نحو السدة الى منعطف طريق الشيخ عمر يسمى (شارع نوري السعيد).

١٨- الشارع الممتد بين منتهى شارع نوري السعيد مارا من امام الشيخ عمر المنتهي بنقطة تلاقي شارع الامير غازي وشارع سعد يسمى (شارع الشيخ عمر).

١٩- الشارع الممتد من باب المعظم نحو المستشفى المنتهي في الشريعة نسبة الى ابي بكر الرازي يسمى (شارع الرازي).

٢٠- الشارع الممتد من شارع الرازي نحو الجنوب الى منعطف الطريق نحو شارع الامام الاعظم يسمى (شارع العسكري).

٢١- الشارع الممتد بين شارع الامام الاعظم وشارع العسكري المخترق محلة الفيصلية يسمى (شارع ابن سينا).

٢٢- الشارع الممتد بين شارع المستنصر وشارع الرشيد يسمى (شارع البدوي) مقابل غرفة تجارة بغداد.

٢٣- الشارع الممتد بين شارع الحسيني (المسمى سابقاً بشارع الشواكة) المنتهى بشارع صلاح الدين يسمى (شارع المعري).

أحب ان اضيف ان امانة بغداد (امانة العاصمة سابقا) قررت في نفس السنة ١٩٣٢ شق شارع مواز لشارع الرشيد يمتد من الباب الشرقي الى باب المعظم بعرض (٢٠ متراً)

الا ان هذا العمل توقف مرات ومرات بسبب ظروف الاستملاك وبسبب الطريقة التي جرى فيها العمل حيث كان المبلغ المخصص لذلك هو (٣٢ ألف دينار).

وكان العمل يجري بطيئاً واحياناً يتوقف كلياً ولم ينجز هذا المشروع الا في اوائل الخمسينيات وسمي بشارع (الملكة عالية) ثم ابدل اسمه بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الى (شارع الجمهورية) وابدل ثانية قبل سنوات الى (شارع الخلفاء نسبة الى (جامع الخلفاء) ولذي يقع بالقرب من سوق (الشورجة الحالية) مقابل (كنيسة اللاتين).

من شوارع بغداد القديمة

التأثير المشترك بين القصص والروايات السريانية والعربية-الأسلامية

فؤاد يوسف قزانجي

هناك الكثير من التأثير المتبادل بين الثقافة السريانية والثقافة العربية قبل الإسلام والتراث الإسلامي ويشمل ذلك أقاصيص الأولين بالإضافة الى قصص أخرى وروايات بعضها تاريخي والبعض الآخر حكايات فولكلورية وميثولوجية متداخلة ذات آثر ديني تهدف الى العبرة والحكمة. وقد وجدت هذه القصص طريقاً الى التراث العربي قبل الإسلام حينما أختلط العرب بالمسيحيين السريان في جنوب العراق (الحيرة) وجنوب سوريا (مملكة غسان) في بصرى ورصابا وذلك بين القرنين الثالث والخامس للميلاد. وقد انتقلت هذه الروايات والقصص الدينية عن طريق العيش المشترك والاتصال الاجتماعي والتفاعل الفكري مع التراث العربي – الإسلامي. وكانت معظم تلك الروايات ذات أغراض إنسانية وأخلاقية وروحية هدفها العبرة والاعتبار بمعجزات الله أو بأخذ العبرة من أولئك الأبطال القدماء أمثال الملك نمرود والإمبراطور دقليانوس والأمبراطور الأسكندر الأكبر ذي القرنين وكورش وغيرهم الذين ذوت ممالكهم لكونهم ولم يؤمنوا بالله، وكانوا في الغالب بعيدين عن قيم السماء. أما أبرز تلك الروايات والقصص فهي كما يأتي:

١- قصة أهل الكهف: وهي قصة سريانية، أنتشرت في سوريا والعراق. وجدت منها نسخاً باللغتين الآرامية والسريانية. وترجمت في القرن السادس أو السابع بشكل موجز الى اللغة العربية لكن المهم أنها ذاعت بين الناس واشتهرت حتى الوقت الحاضر وأصبح عصر دقليانوس يسمى بالعصر القديم. وكان قد جمع هذه الرواية المسيحية العجائبية مؤرخ سرياني بارز هو يوسابيوس الآسيوي الذي كتبها في القرن الرابع للميلاد وسماها (قصة نائمي أفسس السبعة) وسرعان ما أصبحت هذه القصة مشهورة وبقيت متداولة. وكان قد أقيم في مدينة أفسس كنيسة قرب الكهف لا تزال آثارها موجودة حتى اليوم في غرب تركيا. أما الأعجوبة فأنها " حدثت لسبعة شبان من مدينة أفسس أحدى المدن البيزنطية الرئيسة وذلك في القرن الثالث الميلادي في زمن الأمبراطور دقيانوس أو بالأحرى دكليانوس ٢٨٤ -٣٠٥م. وكان هؤلاء السبعة أبناء من العائلات الراقية في المجتمع وقد اهتدوا الى المسيحية ثم ألقي القبض عليهم وأرسلوا الى الأمبراطور الذي استدعاهم امامه وهددهم بالموت إذا لم يرجعوا الى عبادة إلهة الرومان وأعطاهم مهلة وجيزة من الزمن. ولشدة خوفهم ذهب الشبان السبعة واختبأوا في كهف خارج المدينة. حينما ناموا ليلتهم وبقدرة الرب استمروا في نومهم لمدة طويلة تقرب من الثلاثمائة سنة، وحينما نهضوا من نومهم كان العالم حولهم قد تبدل والحياة قد تغيرت وأصبحت بيزنطة إمبراطورية مسيحية. وبعد وقائع تمثل جهلهم بما أصاب مدينتهم من تغير حاسم يعثرون على أحفاد أحفادهم"(١) أما الرواية الأسلامية فقد جرت بشكل مماثل تقريباً للقصة الدينية السريانية من بينها ما روى الشيخ محمد بن أحمد الحنفي حيث يجعل من أهل الكهف وزراء ومستشارين تابعين الى دقيانوس من الذين كرهوا الأوثان فهربوا وخرجوا من أرضه واختبأوا في كهف يتبعهم كلب احد الرعاة ثم ناموا وكانوا أيضا سبعة أشخاص وثامنهم كلبهم، ويعترف الشيخ الحنفي أن الرواية حدثت في عصر بين المسيحية والأسلام وأنهم كانوا يسكنون في أرض رومية في أفسس، فلما جاء الأسلام تغير أسمها الى ترسوس (٢) وتدعي الأردن أن الكهف موجود في أراضيها.

٢- قصة الأسكندر ذي القرنين: حظيت قصة الأسكندر الكبير وهو أمبراطور يوناني أمتاز بالحنكة العسكرية والشجاعة، باهتمام في أدبيات وثقافة الشعوب الشرقية وكانت غزوته للشرق واحتلاله الخاطف لبلاد الهلال الخصيب ومصر وإيران وغيرهما قد جعلت منه بطلاً عالمياً في التاريخ. وقد كتبت عن سيرته وفتوحاته العسكرية الكثير من المؤلفات في زمانه دبجها المؤرخون اليونان والرومان أمثال بليني وأريان وغيرهما، إلا أنه عندما انقضت قرون عديدة وساد الشرق احتلالات متداخلة وانهارت الحضارات، ظهرت أساطير وقصص خيالية عن حياة الأسكندر حتى أصبحت شخصيته ذات أبعاد أسطورية مثله مثل هرقل وكلكامش ونبوخذ نصر. وكانت القصة اليونانية التي كتبها (كاليستين)، تحفل بالحوادث الأسطورية والمغامرات الخيالية. وقد أنتشرت بين شعوب الشرق الأدنى وقد ترجمت أولا الى البهلوية زمن الأمبراطورية الساسانية ثم ترجمت بشكل موجز الى السريانية وذلك في القرن السابع الميلادي. وأخذ السريان يروونها وبذلك اندمجت هذه القصة ضمن الفولكلور العربي وأصبحت قصة الأسكندر ذي القرنين على ألسنة العامة. وكان يعقوب السروجي، وهو من أدباء السريان في القرن السابع للميلاد وقد صاغ حوادث القصة على شكل قصيدة طويلة أنتشرت وذاعت بين الناس. (٣)

٣- قصة يأجوج ومأجوج: أول من ذكر قصة يأجوج ومأجوج أو بالأحرى جوج ومأجوج المؤرخ اليهودي الشهير فلافوس يوسفوس وكذلك مار هيروتيموس، غير أن الترجمة السريانية لهذه القصة جرت في القرن السادس الميلادي. وقد أعتبر الكاتب السرياني شخصيتي جوج ومأجوج من الشخصيات التي تمثل (الهونيون) وهم قبائل همجية غزت سوريا سنة ٥١٤ أو ,٥١٥ ومن الطريف أن هذه القصة تتصل بقصة الأسكندر ذي القرنين في التراث العربي الأسلامي. وقال الحسن البصري عن الموضوع: " أن يأجوج ومأجوج أصلهم من ولد يافث أبن نوح، ويلقب بأبي الترك ويأجوج ومأجوج من الأتراك.. الخ " وقد بنى الأسكندر سداً لصد قوم يأجوج ومأجوج كما كتب في سفر الرؤيا من أسفار العهد الجديد (٧: ٩ -٢٠) للدلالة على إعداء المسيحية والرواية أصلاً قد تكون تأثيراً أو انعكاسا كما جاء في سفر حزقيال (٣٨ - ٣٩) من العهد القديم عن الملك جوج الذي غزا فلسطين وقتل عدداً من المؤمنين. ويعتقد أن الاسم جوج محرف عن كيكس أو جيجس الذي أشار إليه الملك آشور بانيبال باسم (جوجو) في أحدى المدونات، وأن لفظة جوجو أو جوج قد أطلقت على قبائل السكيثيين الذين قد يكونوا فتحوا ليديا في بلاد اليونان ثم تغلبوا فيما بعد على الفرس عام ٦٢٤ ق. م. (٤)

٤- رواية الأخدود التاريخية: كانت مدينة نجران في بداية القرن السادس للميلاد من أكبر المدن في الجزيرة العربية شأنها شأن مكة ويثرب وصنعاء. وكانت تضم اقواما معظمهم من قبيلة حمير الذين كانوا في معظمهم قد اهتدوا الى المسيحية وبعضهم الى اليهودية. وقد بنى النصارى ديراً أو كنيسة أصبحت موضع أهتمام أهل اليمن. وحدث أن احد أمراء قبيلة حمير الذي كان يهودياً والذي يدعى مسروق والذي سمي أيضا (ذو نواس) عز عليه أن يكون كثير من إتباعه من المسيحيين فهجم هو وأصحابه على مدينة نجران وأستخدم المكر والخداع كما يقول الباحث محمود سليم الحوت (٥) واستولى عليها ونصب نفسه ملكاً على بني حمير خلال السنوات ٥١٥ - ٥٢٥م) وكان شديد التعصب لليهودية إذا أكره الشيوخ وعلية القوم وأهاليهم على اعتناق اليهودية بالقوة فلما رفضوا حفر لهم خندقاً أو أخدودا وألقى بهم فيه ثم أضرم النار في الأخدود وأحرقهم أحياء. وهكذا لقي الكثيرون من أهل نجران حتفهم والبقية هربوا الى العراق مستغيثين بملك الحيرة. وأنتشرت هذه الحادثة بالأدبيات السريانية ووجدت صداها في التراث الأسلامي حينما ذكر أهل الأخدود في القرآن الكريم، وبذلك تكون حقيقة الواقعة الدامية قد سجلت في التاريخ، وقد أرسلت رسائل الى ملك الروم أيضاً لتخليص أهل نجران من اضطهاد اليهود لهم، ويضيف الباحث محمود الحوت أنه ما لبث أن جهز الأحباش النصارى جيشاً بقيادة ارياط فقاتلوا ذا نواس واستولوا على اليمن. ويعتقد أن الحملة تمت بطلب من الروم أو أنها رغبة حبشية بالتوسع في أرض اليمن وسجل هذه الرواية التاريخية حمزة الأصفهاني على النحو التالي:

" ثم ملك ذو نواس في زمن فيروز بن يزدجرد وعصر قصي بن كلاب. وذا نواس هو صاحب الأخدود والداعي من باليمن الى التهود. وكان نزل يثرب مجتازاً بها، فأعجبته اليهودية فتهود، وحملته يهود يثرب على غزو نجران لامتحان من بها من النصارى، وقد كانوا أخذوا النصرانية عن رجل توجه اليهم من جهة آل جفنة ملوك الشام. فسار من هناك اليهم وعرضهم على أخاديد أحتفرها في الأرض وأضرمها نيراناً، فكان يعرف فيها من أقام على النصرانية فأتى بهذا الصنيع على خلق كثير من النصارى. وعدل من نجران الى دار المملكة باليمن. ثم أن رجلاً من اليمن يقال له ذو ثعبان عبر البحر الى ملك الحبشة، وكان يدين بالنصرانية، فرفع أليه الخبر بما أرتكبه ذو نواس بحق النصارى. فكاتب ملك الحبشة بذلك قيصر، واستأذنه في أن يجرد جيشاً الى اليمن. فقصد ملك الحبشة اليمن في سبعين ألف فارس، فانهزم ذو نواس من بين يديه، فبعث الى الطلب في أثره، فمر صعداً حتى انتهى الى البحر فاقتحمه، فكان آخر العهد به، وكان ملكه عشرين سنة." (تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص ١١٣) .

٥- السندباد البحري: ذكر دوفال:" أن القصة نقلت الى السريانية في القرن العاشر الميلادي بعنوان (تاريخ السندباد والفلاسفة الذين كانوا معه) وقد ترجمت النسخة العربية التي كان قد نقلها أحد الكتاب المدعو (موسى) عن البهلوية في النصف الثاني من القرن الثامن للميلاد "(٦) وقد أصبحت فيما بعد ضمن قصة ألف ليلة وليلة.

٦- رواية ربان بحيرا: كتبت هذه الرواية باللغة الفارسية وتنقسم الى ثلاثة أقسام يتحدث فيها المؤلف بالجزء الأول عن لقاء بحيرا بالربان ايشو عياب الذي تعزى إليه القصة. ويظهر أن الجزء الأول منها قد وضع في القرن الحادي عشر للميلاد أو في مستهل القرن الثاني عشر. أما الجزء الثاني فيتطرق الى المحاورة التي جرت بين الرسول الكريم والراهب بحيرا. ويعتقد أن الراهب زود الرسول الكريم بمعلومات غزيرة عن الديانة المسيحية.وهذا الجزء الذي كتبت فيه رواية بحيرا الحقيقية، يرقى عهدها الى زمن سابق لعله السابع أو الثامن للميلاد. أما الجزء الثالث من القصة فيتضمن سلسلة رؤى عن الأزمنة المستقبلية من حكم المسلمين الى مجيء السيد المسيح ثانية. وقد نشر (كوتل) النص السرياني والنص العربي لهذه القصة. (٧) ومما يؤسف له أن الأدباء السريان المعاصرين لم يعنوا بهذه القصص والروايات ولم يجمعوها لأهميتها وطرافتها.

المصادر

١- دوفال، روبنس. تاريخ الأدب السرياني، ترجمة لويس قصاب. بغداد مطرانية السريان الكاثوليك، ١٩٩٢ (ص ٢٤١ - ٢٤٢).
٢ - الحنفي، الشيخ محمد بن أحمد اياس. بدائع الزهور في وقائع الدهور. بغداد مكتبة الشرق الجديد، ١٩٨٤ (٢٦٢ -٢٦٨).
٣- دوفال، روبنس. تاريخ الأدب السرياني. المصدر السابق (ص ٢٤٣).
٤) عبودي، هنري. معجم الحضارات السامية. بيروت، جروس برس، ط٢ / ١٩٩١ (ص٣ -٧).
٥- الحوت، محمد سليم. في طريق الميثولوجيا عند العرب. بيروت. ١٩٥٦ (ص ٢٩).
٦- دوفال، روبنس. المصدر السابق (ص ٣٤٥).
٧- مجموعة باحثين. تاريخ الكنيسة المفصل، ترجمة أنطوان الغزال وصبحي حمودي. بيروت: دار المشرق، ١٩٩٩ (٤٢٦ -٢٤٧).